مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: القبس

التاريخ: ١٩٧٧/١٢/١٦

أيها الحكام العرب.. اتحدوا

بقلم:

د. محمد سلطان أبو علي

الاستاذ بجامعة الزقازيق

الى اين وصلنا نحن العرب .... يشعر كل مواطن عربي بجرح عميق في قلبه وبخوف من اهوال المستقبل نتيجة للتمزق الذي وصلت اليه الدول العربية وهي لا زالت تواجه العدو ولم تصل بعد الى استرداد الارض او استعادة حقوق الشعب الفلسطيني او اعادة الامن الى لبنان .

لقد قيل ان اسرائيل كانت ستوجه ضربة قاضية على الجبهات الثلاث مصر وسوريا والاردن لا تستغرق اكثر من اربعة ايام تسكت فيها صوت العرب .. يا الهي .. اذا صح هذا فماذا كنا نفعل منذ حرب اكتوبر المجيدة ! لقد خرجت علينا التصريحات تلو الاخرى بامكانية تكرار مفاجاة حرب اكتوبر واننا ... نحن العرب قد استعدنا قوتنا فكيف يمكن ان يحدث هذا ؟ اكثر الظن ان هذه الاخبار خدعة اميركية او اسرائيلية لارهاب العرب . ومما يدعم ذلك الترحيب الفائق الذي لقيه الرئيس السادات اثناء زيارته لاسرائيل . ولو كانت اسرائيل قد خططت للحرب فعلا وضمنت نتائجها بالدرجة المتواترة لما رحبت بهذه الزيارة خاصة وان المجتمع الاسرائيلي قائم على اسطورة الانتصارات البطولية وانه لم ينس خسائره في حرب اكتوبر .

ثم ما هذا الذي حدث في طرابلس ؟ .... لنفرض جدلا أن مصر والرئيس السادات لا يريدان الحرب .... وان هناك دولا عربية أخرى لا تقبل ذلك — بالرغم من التشكيك في صحته — فماذا يكون رد الفعل لمبادرة الرئيس السادات ؟ لقد خرجت اجتماعات طرابلس بلا بديل يتكافأ مع الضجة الكبرى التي أثارتها الدول التي اجتمعت بطرابلس ولا تناظر ما يقوم به الرئيس السادات من تحركات .... ما هذا الذي فعلوه ؟ اذا كنا قد فهمنا معارضتهم جيدا فانها تعني أن مصر خرجت من ميدان الحرب ، وبدلا من ان يتقدم جند اخرون لحمل لواء المعركة انهالوا ضربا وسبابا على الجندي الخارج من الحرب . وبدلا من تركيز جهدهم على العدو الاسرائيلي انهالوا على مصر بتجميد علاقاتهم معها ، ودفع مصر الى قطع علاقاتها معهم .... لقد كنا ننمنى على الدول التي اجتمعت بطرابلس — ان كانوا يعنون ما يقولون حقا — ان ينشئوا جبهة لمواجهة اسرائيل ... وبدلا من أن يقاطعوا مصر يدعوها الى المشاركة معهم ... ويتركوا الباب مفتوحا لانضمامها لهم اذا تمنعت اسرائيل .... وبهذه الطريقة يزداد العرب قوة بدلا من المعاداة والقطيعة التي لا تلحق بهم الا الضعف والوهن.

ماذا بعد ؟ .... ان ما نفتقده في العمل العربي المشترك هو التصرف الفعلي من واقع الايمان بالمصير المشترك ... فنتحدث كثيرا عنه ولكن لا نواجه متطلباته . لا شك ان مصر ضحت كثيرا بتحملها أعباء الحرب من المال والنفوس .... وهذه الحروب هي حرب مصر وحرب العرب جميعا . وعندما قصرت قدرة مصر المالية لم تجد السند الكافي لها من الدول العربية القادرة .. ولا يمكن ان تستمر دولة في حرب وشعبها يعاني اقتصاديا في ذات الوقت الذي ينعم فيه شركاؤه في المصير بحياة أفضل . صحيح أن بعض البلدان العربية قد قدمت لمصر مساعدة ولكن لم تكن كافية للاغراض العسكرية والاقتصادية كما يجب عدم النظر اليها كمساعدة بل يجب ان تكون النصيب الذي يخصها في الصراع المشترك .

والاهم من ذلك ماذا فعل الاسرائيليون مقابل زيارة الرئيس السادات ؟ نعم لا يعقل ان يشدوا الركاب ويرحلوا عن الاراضي التي احتلوها بعد يونيو ١٩٦٧ ، وان يقبلوا باقامة الدولة الفلسطينية .. ويمتنعوا عن انتهاك حرمة جنوب لبنان فورا ... ولكن كان لا بد على الاقل ان يحصل الرئيس السادات على تصريح من حكام اسرائيل باستعدادهم للقبول . ولكن أقوال الاسرائيليين كانت على عكس ذلك . ولعل ما يبرر تمسك اسرائيل بموقفها من وجهة نظرهم :

(١) انها استطاعت الاحتفاظ بالاراضي التي احتلتها حتى الان . والزعم انه اذا لم يدعم العرب قونهم العسكرية ويرفعوا كفاءتهم فان اسرائيل ستستمر في الاحتفاظ بهذه الاراضي .

(٢) ان انهاء حالة الحرب سيفقد اسرائيل جزءا كبيرا من الموارد المالية التي تتحصل عليها من يهود العالم تحت ستار الحرب .

(٣) اذا حل السلام لا شك ان المجتمع الاسرائيلي ستتفجر فيه صراعات اجتماعية شديدة لا يبقيها تحت السطح في الوقت الحاضر الا خطر الحرب .

كما ان انهاء حالة الحرب وحده لن يجعل الرخاء يعم مصر كما قد يتصور البعض . فالانفاق العسكري يصعب تخفيضه بالدرجة المأمولة في ظل غدر الاسرائيليين وصعوبة تصور انهم سيتخلون عن اطماعهم التوسعية باقامة وطن من النيل الى الفرات . ولا يمكن ان يحجموا عن هذا الا اذا تحققوا من قوة العرب واستعدادهم وقدرتهم على التصدي لاسرائيل في أية لحظة . ولهذا فانه من المطلوب :

أولا : وأول الخطوات المطلوبة هي وحدة الصف العربي من أجل المصير المشترك . ان القوة الحقيقية للعرب هي في اتحادهم ، وليس أدل على ذلك ما حدث في أكتوبر ١٩٧٣ ... لنختلف في الاسلوب والتكتيك ، ولكن يجب الا يصل الخلاف بنا الى القطيعة ، والمعاداة . ويجب ان نوجه جهودنا كلها ضد العدو المشترك . وان نتحمل جميعا الاعباء اللازمة لنهضة الامة العربية . ولا شك ان هذا يتطلب المشاركة الفعالة للمواطن العربى فى السياسات المصيرية ، وان يكون العمل جادا لاستيعاب التقنية المتقدمة وزيادة الانتاج .

ثانيا : وحتى اذا انتهت حالة الحرب فان الاستعداد العسكري الفعال ضروري ولا يمكن التخلي عنه ، ونشارك الاصوات المنادية بضرورة رصد صندوق مالي لهذا الغرض يشترك في تمويله القادرون منا ويتكافأ مع متطلبات الصراع الذي يجب ان تخوضه الامة العربية لتتبوأ مكانها اللائم في الحضارة الانسانية . ولا يجب ان يقتصر الانفاق من هذا الصندوق على الاغراض العسكرية البحتة بل لا بد ان يمتد الى تحسين الاحوال المعيشية في مصر ودول المواجهة الاخرى حتى تستطيع الاستمرار في مواجهة هذا الصراع .

ثالثا : تشكيل مجموعات عمل متخصصة في كافة التخصصات السياسية والقانونية والاقتصادية من أصحاب الرأي لوضع التصورات المستقبلية التي تحقق المصالح العربية وسبل الوصول اليها . ويجب أن تدعم مجموعات العمل هذه بكافة الامكانات المادية والبشرية .

رابعا : تكليف بعض الاساتذة والمفكرين الاجانب المتعاطفين مع القضية العربية باعداد ابحاث مستفيضة تدعم وجهة النظر العربية مع العمل على نشرها في المجالات العملية والعلمية في الغرب .

خامسا : ان انفاق الاموال العربية واستثماراتها يجب ان توجه — الى جانب الاغراض التجاريـــة والاستثمارية — الى دعم الحق العربي سياسيا . وهذا ما تفعله اسرائيل في أوروبا واميركا . فلماذا لا نستفيد نحن كذلك والاموال العربية قادرة عليـــه .

سادسا : نخشى اذا انتهت حالة الحرب وحل السلام مع اسرائيل — بالرغم من تشككنا في نوايا اسرائيل — ان يتصور المعـــرب ان مشكلتهم قد حلت وتتعرض لغزو اقتصادي وعسكري اسرائيلي ونحن غير مستعدين له . فاذا حل السلام فان الجهد العربي يجب ان يتعاظم لزيادة كفاءة الاقتصاد العربي في مواجهة المنافسة الاسرائيلية ولا يقبل بغزو اقتصادي اسرائيلي . كما أن كفاءة القوات العسكرية العربيـــة يجب ان تتزايد يوما بعد يوم لمواجهة اي خطر في المستقبل .

واخيرا فاننا جميعا ننشد السلام الدائم والعادل والذي يتم بطريقة مشرفة . ومن متطلباته وحدة الصف العربي ... فيا ايها الحكـــام العرب ... اتحدوا .... ونتمنى على مصر الا تعقد صلحا منفردا مع اسرائيل كما اعلن ذلك الرئيس السادات مرارا وتكرارا بالرغم مما فعله مؤتمر طرابلس . ونهيب بالرؤساء العرب العودة الى وحدة الصف من اجل وحدة المصير والصالح المشترك . وتذكروا قول الله تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون » .